

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين وبعد :
فإن نشر الأمن العام واستتبابه في البلاد غاية كل حكومة رشيدة
وضالة الافراد التي ينشدونها ليكونوا آمنين على أرواحهم وأموالهم وأعراضهم
وحتى لا يكون الأطمئنان عليها شغلهم الشاغل لهم عن كل غرض آخر
فتتعطل الاعمال ويقف دولاب الحركة في البلاد

مسألة الأمن العام مرتبطة في كل أمة بأحوالها الاقتصادية والاجتماعية
والسياسية بل والدينية فكل هذه عوامل تفعل فعلها وتؤثر فيها
فأسباب اضطراب الأمن واختلاله إذاً أسباب مركبة ليس من
موضوع بحثنا أن نتعرض لها جميعها وإنما نكتفي هنا بذكر سبب من أكبر
الاسباب وباعث من أعظم البواعث التي تشجع الجناة على البغي والعدوان
والاسترسال في الأجرام

هذا السبب هو فرار الجاني وعدم الاهتداء اليه أو خروجه من
المحاكمة ظافراً منصوراً فإن الأشقياء باقترافهم الجرائم إنما يشهرون حرباً

على الهيئة الاجتماعية في وجه حفظة الامن والقائمين بتحقيق الدعاوى الجنائية فإذا عجز هؤلاء عن صد غارتهم والنغلب عليهم ولم يقووا على كشف آثارهم والقبض عليهم ازدادوا جرأة واستخفافا بهم حيث أنسوا منهم الضعف والعجز عن منازلتهم

لذلك كان من أول ما يجب على رجال الحفظ والقائمين بالتحقيق الجنائي وبعبارة أشمل كل الأشخاص الذين تقضى عليهم مناصبهم بأن تكون لهم علاقة واحتكاك بالمجرمين أن يدرسوا الأسباب التي تحوّلهم إلى ارتكاب الجرائم ويبحثوا بحثا ضافيا في خطرات قلوب طائفة الجناة وهو اجس نفوسهم ويتبينوا أحسن الطرق لمراقبتهم وكشف أسرار جرائمهم وبقفوا على طبائعهم وأحوالهم النفسية وأساليبهم في الأجرام فقد أصبحوا يرتكبون الجرائم بطرق فنية عامية فلم يكن يسمع في الزمن الماضي أن اللص يستعمل الكلورفورم لتنويم من يريد أن يمد يده إلى جيوبهم وهم جلوس في عربات السكة الحديدية حتى إذا استرخت أجنانهم وغطوا في نومهم قام بمهمته كما يجب وهو مطمئن رابط الجأش وفي بعض البلدان الاجنبية نجد لصوص القنادق من الطرارين أو فيرانها كما يسميهم الافرنج يدخل أحدهم أنبوبة الكلورفورم من أسفل باب الغرفة حتى إذا تحقق من استغراق من فيها في النوم سطا سطوته واحتوى مكنون جيوبهم وحقائبهم غير مروع نبغ المجرمون في الحيل وتفنونوا في إخفاء معالم الجرائم وطرق التضليل فلا بد لحفظة الامن العام ومن لهم يد في تحقيق الجرائم أن يحصلوا على درجة في المعلومات أرقى وأعلى من درجة من يطاردونهم إذ لا يليق بهم

أن يكفوا اكتشاف الجرائم ومعرفة الفاعلين لها إلى مجرد الاتفاقات والمصادفات بل يجب عليهم أن يعملوا على ذلك بطرق علمية حتى يتفوقوا عليهم وإلاطم سيلهم وعجزوا عن تعقبهم والوقوف على آثارهم فليست سعة المعلومات القضائية بكافية لان تؤهل المحقق للقيام بمهمة التحقيق قياماً محمود الأثر وإنما هي الخبرة والتجارب وممارسة التحقيق عملاً وزماناً طويلاً والوقوف على الطرق والوسائل العلمية والفنية التي يستطيع بها أن ينتصر على الجناة ويتغلب عليهم وقد فطن لذلك أولو الأمر عندنا ولذلك نرى الشبان الذين يلتحقون بالنيابات رغمًا عما هم عليه من سعة العلم بالقانون يظل الواحد منهم سنة بيضاء لا يباشر تحقيقاً ولا عملاً من أعماله اللهم إلا المرافعة في الدعاوى وقراءة محاضر التحقيق وعرض نتيجة بحثه على رؤسائه ولكن مما يؤسف له أنه قلما يتاح لهم الحضور مع محقق يباشر استجواب متهم أو سماع أقوال شاهد أو يعاين محل واقعة حتى إذا ما كفوا يوماً ما باجراء التحقيق ومكافحة الجناة وجهها الوجه ومنازلتهم أمكنهم أن يتغلبوا عليهم ويفضحوا تضليلاتهم وأباطيلهم أما ضباط البوليس ورجاله وهم أول من ينتقل الى محل الواقعة عند العلم بوقوع جريمة فعلى ما لهم من الحنكة والدربة والتمرن على أعمال التحقيق يتوقف مصير القضية فمن أول واجباتهم جمع الأدلة والاستعلامات الموصلة للتحقيق والدعوى والمحافظة على حالة المكان التي تركه عليها الجاني وحفظ ما يمكن أن يكون به من الآثار الدالة عليه كأثار الاقدام العارية أو

المحتذية وبصمات الاصابع والبقع الدموية وغيرها
هذه الاثار وغيرها تحفظ بطرق علمية فنية مخصوصة فلا بد من
ترشيحهم بها ترشيحا يهيئهم لاداء واجبههم على الوجه الاكمل والا كانوا
أكبر عوامل ضياع الجريمة

لذلك نرى المشتغلين بالمسائل الجنائية والبحث في الجاني والجنائية
يصحون بوجود تدریس التحقيق الجنائي العملي لتكوين المحققين الذين
يسيرون في عملهم على طريق فني وعلمي وقد انتشر هذا الرأي وأصبح
معمولا به في أكثر أمهات المدن في البلدان الاجنبية ففي باريس ولوزان
وفينا وروما وبروكسل يلتقي على طلبة القانون ورجال البوليس بل ورجال
النيابات والقضاء محاضرات فيه يقوم بها علماء من ذوى الخبرة والكفاءة
التامة كبرتيليون وريس وهانس جروس وأوتولنجي والفردونيسفورو
وغيرهم من كبار العلماء الجنائين الطبيعيين

أما في مصر فانه لم يكن قبل بضع سنين من يعرف عن التحقيق
الجنائي العلمي الا بعض موظفي قلم تحقيق الشخصية ولكنهم قلما كانوا
ينجحون في اقناع رجال النيابات والقضاء بصحة رأيهم ولا سيما في مسائل
آثار الاقدام وبصمات الاصابع والآثار الخفية حتى أن منهم من لا يزال
يعتبر البحث في هذه المسائل حديث خرافة وذلك يرجع لسببين أحدهما
له علاقة بأولئك الموظفين الفنيين والثاني يتعلق برجال النيابات والقضاء
فانهم لم يتلقوا أسوة بزملاتهم في البلدان الاجنبية دروسا في المباحث
الجنائية العملية والعلمية والفنية

فلفل نظارة الحقانية وقد تحول اليها الاشراف على مدرسة الحقوق
الخدوية تعمل على تقرير تدريس هذا الفن لطلبتها ولو على طريق القاء
المحاضرات فتكون بذلك قد حذت حذو نظارة الداخلية وعملت بسننها
فانها تنوى أن تنشئ قسما فنيا أعدت له المعدات الاولى فأرسلت الى
بعض الحواضر في أوروبا أربعة من خريجي مدرسة الحقوق الخديوية لتلقى
هذا الفن على رجاله وتعرف نظام الضبط هناك وقد عاد اليها منهم الى
الآن ثلاثة نرجو الله أن ينفع بهم البلاد

لم تقف عناية نظارة الداخلية بهذا الفن عند ذلك الحد بل قررت
تدريسه لطلبة مدرسة البوليس والادارة وعهدت به الى كاتب هذه
السطور ولم أكن تلقيته عن أحد فكانت الوظيفة شاقة والمسئولية كبيرة
وكيف لا يكون العمل شاقا وأنا لم أجد مؤلفا واحدا في اللغة
العربية عن هذا الفن فلذلك عولت على الرجوع الى مؤلفات الافرنج
للاستعانة بها فوجدتها والحق يقال طاخة بالمباحث الجليلة الفائدة
العظيمة العائدة

رجعت اليها وأخذت عنها فكنت كمن يفوص البحر في طلب اللآلىء
ولكن عملي لم يقف عند حد النقل عن كتب الغير فان ما وضعته وضعا
وانشأته إنشاء لا يقل قيمة وأهمية عما أخذته عنها
ولم اشأ أن اتقل عن هذه الكتب تلك الحيل الشيطانية التي نبغ فيها
المجرمون الاجانب والتي لا تزال من حسن حظ مصر والمصريين
مجهولة منهم حتى لا اكون اسأت من حيث أردت الخير

كلفت بتدريس هذه المادة في اكتوبر سنة ١٩٠٩ ومن ذلك الحين وأنا أجمع المعلومات وأرجع الى المؤلفات ولا سيما ما ظهر منها حديثاً وأعمل الفكر لا اخرج لقراء العربية كتاباً لا اعرف الى الآن أحداً من ابنائها كتب في موضوعه او نسج على منواله^(١)

وقد أردت أن يكون كتاباً انتقادياً عملياً وفنياً في آن واحد فان المطلع عليه يقرأ من بين سطوره الانتقاد على أعمال بعض رجال الضبط والقائمين بالتحقيق الذين لم أسمهم ولم أشير اليهم إشارة تصریح أو تلميح ولكنه انتقاد حق يطيب النفس العادلة سماعه لا يقصد به تشهير ولا تحقير ولم أرد أن اشرح فيه النظريات القانونية والمسائل الخلافية فذلك خارج بالمرّة عن موضوعه غير أنى اضطررت أن أس بعض هذه النظريات مساً خفيفاً تماماً للبحث وزيادة في البيان

وقد أكثرت فيه من ايراد الأمثلة المختلفة المختارة من أشهر الحوادث الجنائية التي وقعت في مصر وفي بعض البلدان الاجنبية والتي لعب فيها المحققون ورجال الضبط دوراً يحمدون عليه

وزيادة في الفائدة ورغبة مني في أن يكون في مقدور كل إنسان

(١) وضع أخيراً حضرة عزيز افندى حبشى الموظف بمصلحة السكة الحديدية كتاباً في اجراء التحقيق الجنائي وقد قال في مقدمته أنه أخذ عن مذكرة أحد طلبة مدرسة البوليس موضوع أثار الاقدام العارية والمحتذية وقد تصفحته فوجدت أن حضرته لم يقف عند هذا الحد بل أخذ عنها جملة مقطوعات شغلت جزءاً كبيراً من كتابه لم يشر اليها مع ما وقع فيما نقله من التحريف اللفظي والمعنوي ولذلك لزم التنبيه

إدراك ماجاء فيه من المسائل الفنية ولا سيما ما كان منها خاصا بأثار الأقدام
وبصمات الاصابع والصورة الناطقة أو التشبيه الوصفي أشبعت الكلام فيها مع
عرض أشكالها وصورها على القراء

وقد ختمته بمبحث في الشخصية وتحقيقها والصور الفوتوغرافية
وقراءتها وكيفية مقارنتها بعضها ببعض ومقارنتها بالأشخاص وعرضت
على أولى الأمر في مواضع مختلفة وبمناسبات مخصوصة جملة اقتراحات لعلها
تقع عندهم موقع الرضا والقبول - هذا -

وأرجو الله سبحانه وتعالى أن ينفع به والا يجعله من سقط المتاع فهو
حسبي وبه التوفيق والعون

محمود حسن

مدرس بمدرسة البوليس

والادارة

